آفاق فكرية

رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507

ص . ص 82 - 95

من أزمة التنمية إلى سياسة الحضارية ادغار موران واصلاحات وفقا للفكر المركب

From the crisis of development to the policy of civilization Edgar Moran and repairs according to compound thought

صلعة محمد SALAA Mohamed [1]

- مخبر دراسات الفكر الاسلامي في الجزائر جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس، salaadjihad@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2020/02/07 تاريخ القبول: 2020/03/23 تاريخ النشر: 2020/06/28

الملخص: لم يعد كوكب الأرض موطنا للعيش، بل غزته إرادة التحكم في البشرية عن طريق العلم والتقنية أصبح الأزمة، وتم منح الكائن الإنساني إمكانيات كبيرة للتدمير الذاتي، وأتيحت له فرصة ليبلغ أقصى درجات الفتك بنفسه، تحت مسمى التنمية، ورغم محاولة أنسنة هذه التنمية، إلا أن البعد الكمي الحسابي بقي مسيطرا على مؤشراتها الإنسانية، ضمن هذا الواقع المتأزم شكلت أفكار إدغار موران وفق البراديغم التعقيد طريق مشروع الاصطلاحي ممثل في سياسة الحضارة وفقا للفكر المركب بديلا للتنمية.

الكلمات المفتاحية: الأزمة، التنمية، الإنسانية، البعد الكمي، سياسة الحضارة.

abstract: The planet Earth is no longer a place to live, but It was conquered by the will to control mankind through science and technology. It became a crisis, and the human being was granted great potential for self-destruction, and he had an opportunity to reach the utmost lethality by himself, under the name of development, and despite the attempt to humanize this development, however, The arithmetic quantitative dimension remained in control of its human indicators. Within this tense reality, Edgar Moran's ideas, according to the complexity of the complexity of the idiomatic project, were represented in the policy of civilization, according to the complex thought, an alternative to development.

Keywords: Crisis, development, humanity, quantitative dimension, civilization policy

1. المؤلف المرسل: صلعة محمد ، الإيميل: salaadjihad@yahoo.com

مقدمة:

يبدو أن الفكر التنموي المعاصر، منذ النصف الثاني من القرن العشرين عاد ليكتشف اخيرا الحقيقة البديهية وهي أن البشر وهم صانعو التنمية يجب أن يكونوا هدفها، ألا انه بقي أسير الفكر الاقتصادي الكمي جعل الإنسانية تعيش في أزمة، فحسب إدغار موران فإن فكرة التقدم بدأت منذ عصر الأنوار، ومع هذه المرحلة بدأ تسييد العقل وصار هذا الاخير يقود الإنسانية نحو التقدم المحتوم، لكن حمولته المعرفية لا تنفك أن تحمل معها التشوه وتتسم بنقاط ضعف داخل مكوناتها، تجعل منه سببا للأزمة في هذا السياق شكلت أفكار موران مقاربة نقدية لتنمية بعدما أثبتت قصورها في تحقيق الرفاهية للإنسان رغم ما حققه بفضل التطور التكنولوجي، هذا ما سنحاول تسليط الضوء عليه من خلال موضوع دراستنا، بعد طرح الإشكالية المحورية التي تتسأل عن رؤية ادغار موران للواقع الانساني المعاصر ابتداء من الوضع المعرفي المختزل؟ واهم الانتقادات التي طرحها بعدما قدم تحليلا جديدا للأزمة كمصطلح قبل ان يكون وقعا معاشا؟ وما هو البديل الذي يرى انه يمثل مشروعا اصلاحيا قابلا لتحقق في ظل الأوضاع التي تعيشها البشرية التي تكاد تفتك بها الى الهاوية؟

1. مفهوم الازمة عند ادغار موران:

إن الأزمة التي يعيشها العالم الغربي تحديد جاءت كطبيعة للمتغيرات الحاصلة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي، أكتشف إدغار موران Edgar Morin (1921-) الأزمة من خلال تقدم ضروب اللايقين في كل شيء وفي كل مكان "أنها تترجم صعوبة التشخيص في المجمل، تأتي هنا بغياب اليقين[1]" لقد عم هذا المفهوم جميع آفاق الوعي المعاصر في القرن العشرين وشمل جميع المجلات، وهذا يعني أن التشخيص العلماء لم يعد يستطيع التكهن مثل ما كان عليه العارفون أو الأنبياء، بحسب موران فالأزمة تعددت في المجتمع وفي الرأسمالية وحتى في المحيط الأسري بين الأزواج وفي العائلة، وفي القيم والقانون والبشرية وفي الحضارة، فالحاضر في ضياع والكوكب الأرضي يعيش واقع التخريب من يوم إلى يوم، كل هذا يجعل من الغموض يبدوا ويكبر في كل شيء، فميزة هذا القرن حسب موران تتسم بفقدان المستقبل، أي استحالة التنبؤ به، وهكذا تم التخلي عن وهم إمكانية التنبؤ بالمصير الإنساني، إلا إن تعميم المفهوم أفرغه من معناه فإذا كانت الأزمة krisis تعني في أصلها اليوناني "القرار" أي اللحظة الحاسمة[2] التي تتيح عملية التشخيص المرض أي لحظة بروز الأعراض الواضحة فإنها اليوم تعني "التردد"، ولحظة المقترنة بالغموض وصعوبة التشخيص فهي لحظة غياب الحسم واليقين وتتزامن مع

لحظات الاضطراب، ونفس الامر نجده في المجال الإقتصادي الذي نتعرف عليه فقط من نقصان صفاته الكمية أو زيادتها لكن عندما تشمل الثقافة والبشرية والحضارة فأنها تفقد ملامحها، والأزمة برأي إدغار موران لا تظهر فقط عند حدوث انكسار داخل اتصال أو عند حصول زعزعة داخل نسق فكري كان يبدوا ثابتا، لكنها تظهر أيضا عندما تكثر الإحتمالات وبالتالي التقلبات.

فالأزمة تحيل في النتيجة الى فجوة في معارفنا و فجوة في الواقع الاجتماعي بسبب سيادة وتوحش الاقتصاد، أي بربرية المال، أنه الشكل الهمجي الذي نعيشه اليوم، يجعلنا في وضع فوضوي وخطير، مما يؤدي إلى بروز بؤر من المقاومة تظهر في مختلف الثقافات وبأشكالها المتعددة والمتنوعة، وهذا ما نشهده لدى بعض هذه الثقافات ومنها الإسلامية ويتمثل في سعيها نحو الانغلاق على ذاتها وعلى ماضيها حين تقتفي آثار الأصولية المزيفة.

2. في ماهية التنمية:

تعد التنمية بأنواعها عملية صيرورة مستمرة وتشمل جميع الأبعاد، وعملية مطردة تهدف الى تبديل الأبنية الاجتماعية وتعديل الأدوار والمراكز وتحريك الامكانيات المتعددة الجوانب بعد رصدها وتوجيهها نحو تحقيق هدف التغيير في المعطيات الفكرية والقيمية خدمة للإنسان.

يرجع تعبير لفظة التنمية في اللغة العربية بأنها مشتقة من كلمة (نمى) بمعنى الزيادة والانتشار، أي مأخوذة من نما ينمو نموا بمعنى الزيادة في الشيء، فيقال مثلا نما المال نموا،[3] كمقابل لكلمة development في اللغة الانكليزية وهي ترجمة غير حرفية والتي تعني التطوير في مختلف الأبحاث والدراسات، أما من الناحية الاصطلاحية فقد اختلفت أراء الباحثين بشأن التنمية مثلما اختلفوا حول مفهومها، فهناك من نسبها إلى يوجين ستيلي حينما أقترح خطة لتنمية العالم سنة 1889 من أجل معالجة الأوضاع السياسية في تلك الحقبة الزمنية، بينما ينسب الكثير من السياسيين مصطلح التنمية كمفهوم مستقل إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية هاري ترومان في عام1949 عندما أشارفي خطاب تنصيبه بأنه يجب البدء في برنامج جديد وجريء لجعل فوائد تقدمنا العلمي والصناعي متاحا لتحسين ونمو المناطق المتخلفة.[4]

كما عرفت التنمية من خلال استعمال مصطلح تنمية المجتمعات المحلية community development وكان ذلك لأول مرة في مؤتمر "أشردج Ashridge" للنمو الاجتماعي في بريطانيا عام 1954 بهدف معالجة مشكلات الإدارة في المستعمرات الانكليزية ،أي التوصل إلى أفضل السبل لحكم المستعمرات دون مقاومة واستغلال تلك البلدان بصورة أفضل و متاحا لتحسين ونمو المناطق المتخلفة

وبمعنى آخر تعريف التنمية على إنها التربية الشعبية هدفها تحسين المستوى المعيشي للمجتمع المحلي من خلال مشاركة ايجابية شعبية واسعة النطاق من جانب سكانه[5].

3. الفكر الاقتصادي يقود التنمية:

رغم أهمية مفهوم التنمية فقد أثير حوله جدل كثير من قبل التيارات الفكرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية وكل منها يتناوله وفق رؤيته التي تختلف باختلاف الميادين والمناهج العلمية الخاصة بها، وكان المفهوم الاقتصادي للتنمية قد شكل نقطة البداية دون غيره من المفاهيم الأخرى، والسبب في ذلك يعود إلى استحواذ الفكر الغربي من خلال مفكريه الاقتصاديين الموالين للرأسمالية على وضع و فرض مؤشرات التنمية من منظور اقتصادي رغم محاولة بعضهم إدخال مجالات أخرى غير الاقتصادية الى المفهوم لكنها بقيت هامشية وقاصرة في تحديد مفهوم التنمية.

إذامفهوم التنمية لا يزال يكتنفه على المستوى العملي والكثير من الغموض، والشرخ واللاتوازن بين التنمية كخطاب والتنمية كممارسة مما يطرح العديد من المفارقات، إذ أصبح من الضروري نظريا أن تترجم القرارات الصائبة إلى أجرأة ميدانية وإلى أعمال ومشاريع ملموسة تترجم أساسا نظرة إدماجية للمجالات وللفاعلين الاجتماعيين ولسياسات التدخل العمومية وأن تقوم بحل المشاكل المحلية ومختلف القضايا الأكثر أولوية وإلحاحا مع اعتماد مبدأ المقاربة التشاركية التي تعد أحد ركائز نجاح مختلف البرامج والمشاريع التنموية.

4. أزمة الحداثة في الفكر الغربي:

لم تستطيع العقلانية الحداثة الإفاء بوعدها الذي قطعه روادها مع الإنسانية، فالأزمة التي مرى بها الغرب خلال القرن العشرين بينت بطلان ما كانت هذه الحداثة تتوعد وتبشر به من تقدم وتنمية يقول "وليام إنج William Linge " (1913- 1973)لقد كان الأيمان بالتقدم هو القوة المحركة للغرب طوال ما يقارب المائة والخمسين عاما، لقد إنتهى الغرب أخيرا إلى إدراك عبثية ذلك الأيمان وعقمه[6].

" ويصف "روجي جارودي Roger Garaudy (1913- 2012) منتقدا الحداثة ووهم التقدم الذي كان إحدى أهم ما ينوط بها "لقد تهاوت أوهام كثيرة وهم رخاء الرأسمالية الذي لا حدود له وهم الديمقراطية التي كان يتصورها الناس على أنها جمهورية الذوات الواعية وتصوروا وجودها يسمو على صالح الأفراد والجماعات [7]وفي هذا السياق لا نستطيع نقد العقلانية دون المرور الى أحد أهم رواد

الفكر المعاصر الذي إشتهر بنقده للحداثة المفكر الفرنسي "جان فرنسوا ليوتار"Gean Francois Liotard (1924- 1998)من خلال كتابيه "حالة ما بعد الحداثة" "وكتابه الوضع ما بعد الحداثي" حيث يصف الفكر الحداثة بالسرديات الكبرى كنمط من الخطابات التي تتمركز حول افتراضاتها المسبقة ولا تسمح بالتعددية والإختلاف حتى مع تنوع السياقات الإجتماعية والثقافية ،فضلا عن إنكارها لإمكانية قيام بأي نوع من أنواع المعرفة أو حقيقة خارجها، وتقاوم أي محاولة لتغيير أو النقد أو المراجعة، ويرى جون فرنسوا ليوتار أنها تمثل نمط التسلط حين يساور أفكارها حالة من الجمود حيث تقف خارج الزمن بعد أن تستكفي مخزونها عبر المرحلة التي تتشبع فيها الإنسانية من مقدرات هذه السرديات وحينها لا تقبل بشك في مصداقيتها وتصر على أنها تحمل داخلها تصورات شمولية للمجتمع بهذه العقلانية التي ترى ذاتها أنها قابلة للحياة وأنها تمثل نهج أكثر صلاحا للبشرية من خلال خطاباتها السلطوية وإقصائية تمارس التهميش ضد كل أنواع الخطابات الممكنة، ما يستنتج من أفكار ليوتار أن الحداثة شكلت نوع من تكلس تأثرت به المجتمعات الأوروبية وقد تكون السبب الذي جعل الحضارة الأوربية في أوج إزدهارها تنتهي بحروب دموية ولم تعتبر حتى دخلت في حرب عالمية ثانية كانت سببا في هدم كل ما تم بناءه خلال عدة قرون، لذلك يرفض

ليوتار السرديات الكبرى كالماركسية وليبيرالية ويؤمن بفلسفة الفعل التي تكون مرحلية ومؤقتة وراهنة تخلوا من البعد التنظيري الشمولي الذي تميزت به السرديات الكبرى ويرى أننا نعيش في حقبة تمر فيها النصوص السردية الرئيسية المشرعة بأزمة وتشهد ترجعا إذ تزعم هذه الفلسفات الكبرى التي ترى أن تاريخ تقدمي وأن المعرفة ستحررنا وأن وحدة خفية تجمع بين أشكال المعرفة ويلاحظ ليوتار أن سرديات الكبرى بما تحتويه من مبادئ مؤسسة دستورية مازالت إلى حد كبير مصدر قلق مستمر[8].

5. ادغار موران ونقد المنظومة الفكرية للحداثة في الفكر الغربي:

يعبر إدغار موران على الأزمة الحضارة الغربية التي تعيشها اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا انطلاقا من الشكل المعرفي الذي إنعكس على جميع المجلات، هذا الأمر جعله يعيد بناء الأسس النظرية للمعرفة، يشكل بها براديغم جديد ممثل في فكر التعقيد الذي يأمل من خلاله حل المأزق الذي سقطت فيه المعرفة الإنسانية أولا ثم التقدم نحو حل الأزمة الإنسانية عموما، فمن منظور رؤيته الثاقبة يرى أن الإنسان المعاصر يعيش في ظل هيمنة النموذج المعرفي والحضاري الغربي أزمة فكرية لم تعتدها الإنسانية من قبل، رغم ظاهرة إنتصار العقلانية ومبادئها ، وما قادت إليه من غنى فكري وتنوع معرفي وتقدم علمي

وتقني هائل بل يمكن الجزم بأن هذا الانتصار قد أنحرف عن مساره وأدى إلى نقيض مقصده ،ولا أدل على ذلك من أن هذه العقلانية التي وعدت الإنسان بعالم تسوده الطمأنينة والسعادة التنمية ، لكنها أدت إلى تدميره ، فتحولت مع تطبيقات العلم والتكنولوجية إلى عار على الحضارة الغربية بعدما كانت مجدا وشرفا لها بحسب تعبير[9] "لوك فاليري" الأمر الذي ولد لدى هذا الإنسان حالة من اليأس والشك في مبادئ عصر التنوير ومشروع الحداثة بجميع قيمه وأسسه التي قام عليها بما في ذلك مقولات العقل والعلم والتقدم والتحرر والتنمية، فإذا كان هذا التقدم التقني والطبي والاجتماعي مذهل الذي تتصف به الحضارة الغربية، فإن السلطة التي تتصرف قد تتسبب في القضاء نهائيا على الإنسانية فهذه الأخطار يعتبرها ادغار موران نتاجا للتطور وفق البراديغم الحداثي الغربي القائم على التبسيط المليء بالمساوئ فالرفاهية تعمم البؤس، والفردانية عززت من الأنانية والعزلة، وتفتح المدني يولد القلق والملل، وقوته المنفلتة تؤدي الى الموت النووي[10] يقر ادغار موران بفساد هذا التوجه للحضارة الغربية لذلك يطلب بتغيير الطريق، يرى" ادغار موران" إنالأزمة قد خنقت الحضارة الغربية ومن خلالها الحضارة الإنسانية عامة لذا يرى لزاما أن نكف عن الإستمرار في نفس الطريق وننتهج سبيلا أخر للحضارة،يرى ادغار موران أن أزمة المعرفة المعاصرة وسبب قصورها يأتي من التصميم على تجزئة الواقع وطمس معالمه، بل وطمس الذات البشرية نفسها يقول "إن هدفي هو الإبقاء على التساؤل الأساسي الذي يردده أي إنسان إبتداء من سن الثانية عشر ، ويظل يعاوده بلا إنقطاع طوال حياته"[11]، لقد كانت العلوم حتى منتصف القرن العشرين تعمل على مبدأ إختزال معرفة الكل في معرفة الأجزاء هذا الاخير الناتج من ثمار عصر النهضة ممثلا في الاستقلالية للعقل عرف بدايته مع "فرانسيس بيكون Francis Bacon" (1561 – 1626) و"رنييه ديكارت Renée Descartes " (1596 – 1650) وثنائيته الشهيرة الانفصامية، إذ فصل بين الذات المفكرة والشيء الممدود وإرتكازه الى البداهة والوضوح كأساس للحقيقة ، فمن مساوئ والعيوب التي يتسم بها هذا المبدأ أنه يقصي كل ما لا يقبل التكميم والقياس حاجبا بذلك إنسانية الإنسان، من أهواء وعواطف ومعانات وفرح.[12]

6. نقد التقدم التقني من وجهة نظر ادغار موران:

رغم الإسهامات التي أجادت بها التقنية للبشرية إلا أنها باتت تشكل أزمة إذ انفلتت من عقالها بتخلصها من الإنسانية المنتجة لها فانبثاقها من وجهة نظر ادغار موران لم يكن عن الإنسان العاقل بل عن الإنسان الفضولي[13] فمن محاولة سيطرت على الطبيعة كانت البداية للإنسان الطموح الى

الإنسان الحالم عبر مسيرة تخللتها السيطرة على العلم والسيطرة على المادة، إن هاجس التطور التقني الذي كان يعد انتصارا على هاجس الخوف من الطبيعة هو الدافع لإختراع الأسلحة النووية التي واجه بها الإنسان هذا الخوف وتمادى في تطويرها لدرجة أصبحت فيها الإنسانية في أزمة من جراء تهديد هذه الأسلحة مما جعل الإنسانية تعيش في أزمة، ويستنتج ادغار موران من خلال استقراءه التاريخي لماهية الإنسانية إن الشر والعنف المتأصل في الإنسان، يلتقي اليوم مع الشر وعنف جديد أوجدته التقنية. وحسبه أن التقنية لا تعرف سوى الحسابات، وتجهل الأفراد، وأجسادهم، ومشاعرهم، وأرواحهم، وأخضعت الفرد العامل ومجموع المجتمع لمنطق الآلة وسخرتهم لمهام تكرارية ومقننة، كما أنها قضت على الكثير من المهارات الحرفية في جميع المجالات.

7. نقد العولمة في ظل الفكر المركب:

استطاعت الدولة في الغرب أن تحقق التقدم والرفاه، لم تشهد البشرية لها مثيلاً في حقبة الستينيّات والسبعينيّات قبل أن يدخل العالم عصر العَولمة المرافقة للثورة المعلوماتية، وقبل أن يفقد الفرد الملذات التقليدية التي كان يلج إليها في حياته.

يبدو أن العولمة GLOBILISATION قد شكلت العالم في إطار جديد جعلته أكثر تجانسا وفي الوقت ذاته يبدو العالم يتمزق ويعيش حالة من التعاسة والقلق.

نظرة سوداوية يحملها مفكرنا على العولمة عندما يصفها بأحد أوجاع الحضارة الغربية التي يشتكي منها الإنسان بعد ما أصبح منطق الآلة الصناعية معمم و يسيطر على جميع يشتكي منها الإنسان بعد ما أصبح منطق الآلة الصناعية معمم و يسيطر على جميع المعاملات مما يوحي سيطرة منطق الميكانيكي والحتمية على الظواهر الإنسانية المغرقة في المشكلات المتعددة من قبيل التخلف والجوع.

نظرة سوداوية يحملها مفكرنا على العولمة عندما يصفها بأحد أوجاع الحضارة الغربية التي يشتكي منها الإنسان بعد ما أصبح منطق الآلة الصناعية معمم و يسيطر على جميع يشتكي منها الإنسان بعد ما أصبح منطق الآلة الصناعية معمم و يسيطر على جميع المعاملات مما يوحي سيطرة منطق الميكانيكي والحتمية على الظواهر الإنسانية المغرقة في المشكلات المتعددة من قبيل التخلف والجوع و المرض والمعاناة وبالإضافة إلى عصبها المتمثل في الاقتصاد كمحرك العالم، تنعدم فيه كل الضوابط الأخلاقية للمنافسة، وكذا سيادة منطق الإستهلاك، الذي يقوم على أساس الربح كمعيار وحيد، مما خلف توابع الفساد والرشوة، فالنظام الاقتصادي العالمي، الذي يسير وفق أطر العولمة، ومنذ

التسعينات القرن الماضي، هو نظام يعمل على إخضاع مجموع الأنظمة الاجتماعية والثقافية في العالم إلى نموذج اقتصادي موحد أساسه السيطرة المالية، والسيطرة على ثروات الشعوب المستضعفة وقد تمكن هذا النظام فعلا من خلق بؤر من الغناء الفاحش في العالم، كما ضاعف في مناطق أخرى، من جيوب الفقر، وأحياناً يتجاور الغنى والفقر في المناطق نفسها، لذا يشير ادغار موران أن العولمة باتت تحط من شأن التسابق صوب الهاوية، ليتسأل ادغار موران في كثير من الأحيان هل حملت العولمة الاقتصادية من الرخاء و الازدهار أكثر مما حملت من البؤس؟ أو هل يتساوى البؤس والازدهار داخل العولمة [14] ما يؤمن به ادغار موران أن هذه الحقبة من العولمة تحمل أخطار جسيمة فالمعروف إن الحضارة والهمجية تتجاور وتتصارع لكن ما نشهده هو عودة الصراعات قديمة ،منها العرقية ومنها والقومية والدينية في اغلب البلدان العالم وتدفعنا بعض الانفلاتات إلى الاعتقاد بأن حربا بين الأديان أو بين الثقافات على وشك الوقوع.

8. أزمة التنمية في الفكر المعاصر:

يرفض ادغار موران مشروع التنمية بمفهوم المؤشر الحسابي في الدول الغربية في دراسته لموضوع التنمية بداية من تحليل وتشريح لأزمة التي وقعت فيها بعد ان هيمن عليه الفكر الاقتصادي، مستندا على واقع الذي عايشه، لكن نموذجها الكامل والناجع الي أصبح معيارا للتقدم وتفترض هذه الرؤية أن الحالة الراهنة للمجتمعات الغربية تمثل الرقي والتقدم جعلت من الحضارة الغربية تعمم نفسها كنموذج مطلق لا يرقى إليه الشك، الذي تسعى إليه المجتمعات الأخرى لبلوغه، هذا الاعتقاد يتأسس على اعتبار أن التنمية الاقتصادية والتقنية هي القاطرة التي تجر وراءها التنمية الإنسانية[15]، فالتنمية عمليا تجهل أن النمو التقني والاقتصادي نتج عنه تخلفا أخلاقيا ونفسيا نتيجة التخصص المفرط والمعمم والتجزئة المفرطة بين المجالات والفردانية المفرطة وعقلية الربح أدت إلى فقدت قيم التضامن التي كانت خاصية المجتمعات القديمة، يمثل ادغار موران التنمية بالأسطورة التي تؤكد نفسها، بالاعتبار أن المجتمعات التي بلغت المرحلة الصناعية سوف تضمن لأفرادها حل المشاكل الاجتماعية التي عانت منها، وتحقق أقصى درجات الإزدهار والتطور والسعادة وهو ما تكفلت به الايديولوجيتين الرأسمالية والإشتراكية، إلا أنهما لم يصمدا طويلا رغم ما تحقق من التطور للمجتمع تحت ظلهما حيث ظهر جليا إخفاقهما في نهاية عقد الستينات حيث ظل النقد يرافقهما، يستلهم المفكر إدغار موران تداعيات أزمة التنمية من خلال الوعي الإيكولوجي الحاصل في الفترة المعاصرة الذي تمثله النزعة الطبيعية الجديدة والنزعة التقليدية الجديدة اللتين تمثلان الحركة

المضادة للتلوث، وإن كانت طريقة دفاعهما على المجال البيئي ساذجة، إلا أنهما يحملان من خلال دفاعهما رسالة عميقة ذات أهمية لم تعرف مداها بعد، ويتعلق الأمر بزوال فكرة النمو التي كانت تبدوا لا نهائية من منظور الإيديولوجيات التي تبنت المفهوم وتبين أن فكرة النمو الصناعي اللانهائي فكرة زائفة ، بل هناك ضرورة حتمية للتخلي عن إختزال التنمية في ظاهرة النمو الصناعي كمؤشر أساسيا لتحقيق التنمية البشرية والاجتماعية [16]"يمكن القول بالتأكيد إن هذا الوعي الإيكولوجي يشكل جزاء من مغامرة التنمية "[17]الذي نستدل به على الطابع المنفلت للتنمية وعدم خضوعها للضبط، يقول إدغار موران " كنا نعتقد أنها موضوع مضبوط بفضل التقنية، لكن هذه الأخيرة لا تقوم بدور التنظيم إلا على مدى قصير وساهمت على العكس من ذلك بشكل كبير في الإنفلات المستعصي على التحكم.

9. سياسة حضارية مشروع الإصلاحي بديلا:

يطرح إدغار موران مشروعه الإصلاحي متبنيا سياسة حضارية وسياسة إنسانية كمخرج للأزمة التي تعاني منها البشرية تأخذ في صميمها الإنسان، فيكون هدفها الإرتقاء بالإنسان لحياة أفضل .

إن جوهر السياسة الحضارية يكفل مجموعة إصلاحات تشكل مجتمعة نظاما لمعالجة مشاكل المجتمع لتحقيق التغير والتحول لإعادة أحياء الحياة الاجتماعية والحياة السياسية والحياة الفردية بشكل متكامل، ولإضفاء الطابع الحضاري على الجانب المتوحش في حضارتنا المعاصرة. لذلك ينبغي أن نجمع بين السبل الإصلاحات المتفرقة[18] التي لازالت تراهن على الاختزال في تحقيق التقدم.

10. تجديد الفكر السياسي في مشروع الإصلاحي:

من المؤكد أن السياسة وسيلة لا غاية، فهي الأداة المجتمعية للتفكير في وضع وبرمجة الحلول لمختلف المشكلات والتحديات الداخلية والخارجية، وهي وسيلة المجتمع من خلال ممثليه لوضع الخطط والبرامج القصيرة والطويلة المدى لتحقيق طموحاته في حياة كريمة ومستقرة وآمنة لكل أسرة بل لكل فرد وللأمة عموما، لا يمكن أن نحيا في استقرار قبل أن تتمكن من العيش، والقدرة على المعيشة دون جوع أو فقر أو خوف هو الحد الأدنى التي تسعى البشرية إلى ضمانه، لكن الحياة الإنسانية التي تليق بإنسانية الإنسان هي ما يحقق للإنسان ليس فقط الإحساس بالأمن، ولكن بالأمان وجودة هذه الحياة أيضاً وفي هذا السياق يقترح ادغار موران مطالب يرى فيها أسس السبيل التي لابد أن تتوفر لتحقيق مشروعه

سياسة حضارية ذلك أن البشرية جمعاء وبما أنها تشترك في نفس المصير أمامها سبيلين للإختيار وهما سبيل الهمجية والتي ستنهي بنا حتما نحو الهاوية أو سبيل التكافل والتضامن الذي من شأنه أن يخفف عن الكوكب الأرضي أزماته المتواصلة والمتراكمة وينتهي بنا نحو مستقبل مزدهر، إن المجتمع الجديد يحتاج إلى سياسة جديدة لا تقوم على المذهبية ولا تستخدم العنف ولا تتعصب ولا تتحزب ولكن واجبها أن توقظ المواهب وتوقد المشاعر وتقترح المثل الأعلى للمواهب في الممارسة والسلوك و تصلح ما افسد ، بهذه المهام سيتجدد مفهومنا للعمل السياسي ومفهومنا للمجتمع[19].

ما يريده ادغار موران ويسعى إلى تحقيقه هو تغليب جانب الترياق الواقي للحضارة على البربرية من خلال الاستثمار في الأفكار التحررية المستلهمة من النزعة الإنسية، في الصيرورة التي يسميها بالعهد الكوني فهي تحمل، برأيه، الآمال التحررية للبشرية وهذه النزعة التفاؤلية التي يطالب الإنسانية بتحقيقها "يقول إدغار موران ما يجب أن تؤدي إليه التجارب المأسوية للقرن العشرين هو المطالبة بإنسية جديدة متلك القدرة على التفكير في البربرية الأوربية لتجاوزها[20]، لأن الأسوأ ممكن دوما. ففي قلب صحراء البربرية المهددة لنا، لا نتواجد لحد هذه اللحظة إلا في واحة صغيرة نحتمي بها، ولكننا نعرف أيضا أننا نوجد في ظروف تاريخية، سياسية، اجتماعية، تجعل من الأسوأ أمرا قابلا للتحقق، وخصوصا إبان المراحل التي يبلغ فيها التأزم حد الانفجار[21].

11. متطلبات سياسة الحضارية:

يقول موران: "أن عبارة سياسة الحضارة فرضت نفسها عليه في بداية سنوات الثمانينات وترتبط بما يسميه سياسة الإنسان، وهي عبارة تفيد سياسة متعددة الأبعاد، ولأن كل مشاكل الإنسانية تكتسب اليوم بعدا سياسيا، فهذه السياسة أخذت على عاتقها مهمة القضاء على بربرية العلاقات الإنسانية، المتمثلة في استغلال الإنسان للإنسان، والأنانية، والتعصب العرقي، والقسوة، و اللاتفاهم"[22] يؤكد إدغار موران أن هذه السياسة تهدف إلى إزالة الحواجز التي تعيق الفرد والمجتمع، على الفهم والتفاهم، كما تهدف إلى إزالة كل الأسباب التي تؤدي إلى التفرقة ورفض الآخر، من خلال رعاية الجميع تحت شعار واحد وهو من أجل مجتمع المجتمع الإنساني.

ما استخلصه ادغار موران أن العالم الغربي، المتحضر، لم يلتزم بما تعهد به بتوفير السعادة للجميع، إنطلاقاً من السعادة المادية، ومن السلام، ومن تقليص الفوارق الإجتماعية، بل على العكس من ذلك أن رغد العيش المادي قد أنتج في النهاية، حالة من الضنك الجواني الذي تؤكده مؤشرات

السلبية المتمثلة في المسكنات يستهلكها الشباب وهيمنة على يومياته ولجوء أفراد المجتمع المستمر إلى الهيئات الاجتماعية والطبية والنفسية والروحية المختصة لكي تتصالح مع أجسادها ومع أرواحها العليلة، والآن نرى البحث عن حياة أخرى مختلفة من خلال الكتب ، والمنتوجات البيولوجية والدورات التدريبية والعطل المختلفة، وكلها تؤكد على أن ثمة قلقا في الحضارة لم يعد فقط ذلك القلق الحضاري الذي تحدث عنه المحلل النفسي الكبير سيغموند فروي Sigismund Freud (1856 – 1939) وقد بات هذا القلق عميقا ومخيفا وفي مواجهة هذه الوحشية والارتيابية يسعى ادغار موران الى إقتراح سياسة حضارية قابلة لأن تستجيب لهذا القلق الحضاري، وتعمل على الاصلاح البشري الذي تتوق له كل الامم.

11-1- سياســـة التضامـن:

ما يمكن أن نصف به سياسة الحضارية هي سياسة الاعتناء والاهتمام بالإنسان هي أهم جزء في المشروع الحضاري لإصلاح الحياة البشرية وتنميتها،وتحديدا يقصد ادغار مورانفي هذا المطلب تفعيل خلق التضامن داخل المجتمع وداخل الفرد نفسه، ويعني به تحرير القوى غير المستعملة للإرادات الخيرة الموجودة في سريرة الإنسان، والسبيل لإظهارالوعي لدى كل فرد بمشكل التضامن الملموس.[23]

11-2- جـــــودة الحيـــــــاة:

يعتبر مفهوم جودة الحياة اسم جديد لفكرة قديمة فهو المعنى الذاتي الذي يعبر به الناس على ما يعرف بحسن الحال Well Being أو الوجود الأفضل، وعادة ما يعبر عن مفهوم جودة الحياة بمجموعة من الاحتياجات التي تجعل من الفرد سعيدا وراضيا لذلك يأمل ادغار موران في أن تتجسد في رغد العيش في المعنى الوجودي.[24]

11-3- عودة إلى الفضائل الإنسانية:

ولأن السبيل الأمثل للوصول إلى التفاهم والتعايش إنما يتمثل في تقبّل الاختلاف ، كما يرى ادغار موران فإن الأزمة ليست في الاختلاف نفسه وإنما في رفض تقبل الاختلاف[25].

أن العودة إلى الأصول حينما تكون عودة معرفية فإنما تكون عودة لتأصيل الاختلاف وليس لمحوه ،عودة تكشف ثراء النص الأصلي الذي تتم العودة إليه، ليست عودة لتحقيق الأمن الفكري أو التعايش السلمي بل عودة لتكريس قيم المعرفة وتحريض العقل على التفكير والإبداع واكتشاف آفاق جديدة كفيلة بتطوير الثقافة والعلوم الإنسانية، بحيث يكون مصدر إثراء للثقافة التي يرتكز تطورها على

تعدد وجهات النظر، فيها وقدرتها على تمثل ما فيها من اختلافات وقدرة المنتمين لها على التفاهم والتعايش رغم كل تلك الاختلافات.

11-4- الإصلاح الأخلاقي:

هناك ملمح جوهري في الفكر المعاصر هو تجدد البحث الأخلاقي النظري، فهناك رغبة في العودة إلى فلسفة الأخلاقية بعد أن غابت أو تلاشت في عصر فقد فيه اليقين وتزعزعت فيه الأسس وافتقدت القداسة كل شيء[26] ، يندرج ادغار موران ضمن كوكبة المفكرين المعاصرين ذوي النزعة الأخلاقية وهذا ما نلاحظه من خلال جل كتابته التي تروم إلى تأسيس نظام أخلاقي بعد أن اكتشف عمق الهدر الذي يتعرض له الإنسان من قبل العلم التقني محاولا من خلاله إضفاء القيم الأخلاقية على الواقع الإنساني، فالظلم في الوضع العالمي المعاصر الأكثر خطورة ليس ماديا وإنما أخلاقيا.[27]

11-5- أنسنـــة البيـــئة:

مما لا شك فيه أن المجتمع الحداثي وما بعد الحداثي الأوروبي قد أنتج كوارث يقود أسبابها التقدم العلمي و التكنولوجي غايته في ذلك البحث عن السعادة والرفاه، لأنها كانت وخيمة وكونية لنأخذ على سبيل المثال لا الحصر إزالة الغابات الذي نتج عنه تأثر الغلاف الجوي ليفتح المجال أمام إنهيار البيئي مثل ظاهرة التصحر والاحتباس الحراري وثقب الأوزون ليفتح المجال بدوره لظهور أمراض فتاكة عرفت بأمراض العصر، كأنواع السرطانات المختلفة و الأمراض المتنقلة.

ضمن هذا المأزق البيئي تندرج أطروحة إدغار موران من خلال سياسة الحضارة لإعادة التفكير في العلاقة بين الإنسان ومحيطه البيئي لإعادة أنسنة البيئة وإعادة تمركز الإنسان فوق الأرض وإقامة حوار مع البيئة من خلال القضاء على القطيعة مع أخلاقيات البيئية.

فحسب إدغار موران فإن تدهور الوسط الحيوي للإنسان يتضاعف بشكل مكثف منذ الستينات من القرن الماضي، ولم تلعب الإنذارات العديدة سوى دور ضعيف، على الرغم من أن الدول حاولت أن تتحكم في بعض التلوثات، بعد الخسائر التي تسببت فيها الأمطار الحمضية. فكل المؤتمرات الدولية، مع الأسف، لم تصل إلى نتيجة، ومن ثم فإن الحضارة الغربية التي انتشرت في العالم أجمع ليست مهيأة، على الإطلاق، لاتخاذ إجراءات قسرية[28].

خـــاتـمـة:

تندرج أطروحات إدغار موران للخروج من أزمة التي تعرفها البشرية ضمن سياق الفكر الكوني الذي يتبناه كطرح لإنقاذ الإنسانية من منطلق معرفي فكري محض بديل لمفهوم التنمية المفخخ المغرق في الوحشية المقننة وليد للنيوليبرالية، يعبرعن وجهة نظر فكرية تبنته القوى الغربية لنهب خيرات الشعوب المستعمر والمستضعفة تحت مضلة مساعدتها للخروج من التخلف، في ظل هذا الواقع استطاع المفكر تقديم حلا يراعي في الجانب الإنساني من خلال رؤية و عمق في التحليل داخل الفكر المركب بمختلف أبعاده مبنية على التضامن الكوكبي، مقترحا نهجا جديدا يسميه سياسة الحضارة لأخلقه الحياة البشرية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، والتفكير في العلاقة بين الإنسان ومحيطه ولأن المفاهيم تخضع للتطور الحيوي شأنها في ذلك شأن الظاهر الطبيعية والاجتماعية وكل مفهوم أصيل يولد بضرورة من منطلق الحاجة إليه وينمو ضمن أطر التغيرات الاجتماعية وفي هذا السياق يعتبر مفهوم السياسة الحضارية يلبي متطلب العصر بحسب تصور إدغار موران وكفيل بمهمة التحول والتغير الإنساني إلى الأحسن والأجود.

الإحالات والهوامش:

1. إدغار موران، في سياسة الحضارة، ترجمة وتقديم الزواوي بغورة، مجلة يتفكرون، العدد 09، المغرب، 2016،
2. هبة عادل، التقدم العلمي- التقني وأزمة العالم، قراءة في فلسفة ادغار موران المستقبلية، مجلة الآداب جامعة بغداد، 2015.
3. ادغارموران، في مفهوم الأزمة، ترجمة بديعة بوليلة، دار الساقي، ط1، بيروت، 2018
4. رياض حمدوش، مفهوم التنمية السياسية وعلاقتها بالتنمية الاقتصادية ، معهد الميثاق كتاح على الموقع الالكتروني التالي: www.htm.1696 slarticle infolnew . Almethag 04- 08- 2019، 19 سا 50د.
5. حيدر إبراهيم علي، إستراتيجية التنمية الريفية في دول الخليج العربي، حالة دولة الأمارات العربية المتحدة، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد 44 ،جامعة الكويت، 1985، صفحة 80.
6. سامي محمد نصار، قضايا التربوية في عصر العولمة ومابعد الحداثة ،الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2007، ص19
7. روجي جارودي، نظرات حول الانسان، ترجمة يحي هويدي، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، 1983، ص17.
8. كريستوفر باتلر، ما بعد الحداثة ، ترجمة نقين رؤوف ،مراجعة، عبد المولى أحمد، مؤسسة هنداوي لتعليم، ط1، مصر، 2016، ص19
9. ادغار موران، جان بودريارد، عنف العالم، ترجمة عزيز توما، تقديم ابراهيم محمود، دار الحوار، ط1، سوريا، 5005، ص84
10. ادغار موران، جان بودريارد، عنف العالم، مرجع سابق، ص 84
11. عبد الوهاب جعفر، مقالات في الفكر الفلسفي المعاصر، دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية،1988، ص 668
12. هبة عادل، التقدم العلمي- التقني وأزمة العالم، قراءة في فلسفة ادغار موران المستقبلية، مجلة الآداب جامعة بغداد، العدد 15 ،2015، ص 614.
13. هبة عادل، التقدم العلمي- التقني وأزمة العالم، قراءة في فلسفة ادغار موران المستقبلية نفس المرجع سابق، ص 628
14. هبة عادل، التقدم العلمي- التقني وأزمة العالم، قراءة في فلسفة ادغار موران المستقبلية مرجع سابق، ص162
15. ادغار موران، هل نسير الى الهاوية مرجع سابق، ص.75

16. إدغار موران، في سياسة الحضارة، ترجمة وتقديم الزواوي بغورة، مجلة يتفكرون، العدد 09، المغرب، 2016، ص80.
17. إدغار موران تنمية أزمة التنمية، ترجمة مصطفى ناجي متاح على الموقع الإكتروني www.elmawja.com بتاريخ 05/14/ 2018 15 سا50 د
18. إدغار موران تنمية أزمة التنمية، مرجع سابق، ص.46
19. ادغار موران، هل نسير الى الهاوية مرجع سابق، ص 46.
20. عبد الوهاب جعفر، مقالات الفكر الفلسفي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 1988، اسكندرية، ص237.
21. ادغار موران، ثقافة أوربا و بربريتها، مرجع سابق، ص57
22. مزوار محمد سعيد، عنف اوربا والغرب لم ينتهي متاح على الموقع الالكتروني https://pulpit.alwatanvoice.com prin › content بتاريخ 2019/07/18 14h25m
23. ادغار موران، نحو سياسة حضارية مرجع سابق، ص41.
24. ادغار موران، نحو سياسة حضارية مرجع سابق، ص41.
25. ادغار موران، نحو سياسة حضارية، مرجع سابق، ص37
26. عبد الرزاق بلعقروز، تحولات الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، ص 202.
27. ادغار موران ، عنف العالم، مرجع سابق، ص81.
28. عبد الغني بوالسكك وآخرون، الفلسفة البيئية وأخلاقيتها ضمن كتاب جماعي، الاخلاقيات التطبيقية جدل القيم و السياقات الراهنة للعلم، اشراف وتنسيق وتقديم خديجة زتيلي، منشورات الضفاف، ط1، 2015، الجزائر، ص176